

البيئة الثقافية العمرانية نحو دور جديد للبيئة الحضرية

م. عيبر محمد رضا الشاطر

مدرس مساعد بقسم التخطيط والتصميم الحضري

كلية الهندسة جامعة عين شمس

المستخلص

تعتبر البيئة العمرانية نتاجاً لثقافة المجتمع فهي تنتج عن المتطلبات الاجتماعية والاقتصادية للسكان أو المستخدمين، كما تستوعب العديد من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فحجم المباني وأشكالها ومواقعها ليست فقط ناتجة عن عوامل فيزيقية مثل المناخ ومواد البناء أو شخصية المصمم، ولكنها تتأثر ببعض الأفكار والعادات الاجتماعية؛ فالمجتمع هو الصانع الأساسي للبيئة العمرانية التي تستوعب العديد من الأشكال والأنشطة الاجتماعية.

تحاول هذه الورقة البحثية تقديم صياغة لمفهوم البيئة الثقافية العمرانية الفعالة، والتي تشير صورتها وإطارها العام لمجموعة نتائج تتناولتها الدراسة بالمدخلين التنظيري والتحليلي، من خلال المحاولة التناظرية لإثبات صحة الفرضية البحثية بأن البيئة العمرانية تتخطى دورها التقليدي في نسيج المدينة لتصبح هي المحتوى لعناصر البيئة الثقافية للمجتمعات العمرانية. ويتم ذلك من خلال التعرف على المفاهيم المتعلقة بالبيئة الثقافية والبيئة العمرانية، وذلك للوصول إلى مفهوم أشمل يتطرق إلى الأبعاد الإنسانية للبيئة العمرانية ووصولاً لصياغة لمفهوم البيئة الثقافية العمرانية، ومحاولة قياس أبعادها عن طريق تصميم مصفوفة لقياس مدى التوافق بين ركني البيئة المحيطة بسلوكيات الفرد وهما الركن العمراني والثقافي، وبشكل يجعلها تنسم بالمرونة في استيعاب المتغيرات الحادثة بمرور الوقت.

Abstract

The built environment is essentially social and cultural products; buildings result from social needs and accommodate a variety of functions, economic, social, political, religious and cultural. Their size, appearance, location and form are governed not simply by physical factors (climate, materials or topography) but by society's ideas, its forms of economic and social organization, its distribution of resources and authority and its activities, and the beliefs and the values which prevail at any one period of time.

The present paper tries to provide a concept of robustness urban cultural environment. In addition, the attempt to validate the research hypothesis that "the physical environment overcomes their traditional role in the city fabric to become the container of the cultural". This is done by identifying the concepts of robustness, culture, the culture environment and the physical environment, in order to reach a more comprehensive concept to address the humanitarian dimensions of the physical environment. And access to the formulation of the concept of urban cultural environment, and attempt to measure its dimensions through designing a matrix to measure the compatibility between the two pillars of the surrounding environment- the urban and culture environment, and its flexibility to accommodate changes over time.

1 مدخل وتقديم

يتوقف تصميم أي بيئة عمرانية علي كيفية تعامل مجموعة معينة من الأفراد لهذه البيئة بحيث تصبح طريقة تعاملهم سمه تميز هذه البيئة العمرانية عن غيرها، و خلال إنشاء أي بيئة عمرانية أو خلال مراحل نموها يوجد نظام أو خطة لهذه البيئة يرتبط ارتباطاً مباشراً بطريقة الحياة الخاصة بهؤلاء الأفراد أو المجموعات التي تعيش بها، ويرتبط أيضاً بطريقة رؤيتهم لهذه البيئة. وهذا يتطلب التفكير من زاوية كون البيئة العمرانية الوعاء الذي يحوي كافة الأنشطة التي يمارسها الفرد مع اختلاف كون الوعاء ديناميكي أو لاً ديناميكية ما يحتويه (الأفراد) وثانياً لتعرضه للتغير بمرور الوقت.

1-1 أهداف الورقة

غاية هذه الورقة تقديم أداة لتصميم البيئات الحضرية علي أطراف المدينة المصرية ويقترح ثلاثة أهداف معرفية لتحقيق هذه الغاية وهدف مهاري، أما الأهداف المعرفية فتتضمن في (أ)- التعرف علي مفهوم البيئة الثقافية والبيئة العمرانية، (ب)- التعرف علي منطقتي تكوين مفهوم البيئة الثقافية العمرانية، (ج)- إدراك البنية الفلسفية لهذا المفهوم. والهدف المهاري فيتمثل في تصميم مصفوفة لقياس مدى التوافق بين كلا العنصرين.

2-1 فرضية الورقة

تعتمد هذه الدراسة علي فرضية منطوقها (أن كل وعاء بما فيه ينضح فإذا صح تصميم الوعاء استقام واعتدل كل ما يحويه مع اختلاف ديناميكية كلاهما، كما أن كلاً من الوعاء وما يحويه جزءاً لا تجزأ عن الآخر). وهذا يدفعنا إلي اعتبار مرونة البيئة العمرانية في استيعاب احتياجات الأفراد سبب أساسي في تدهورها أو تطورها، وأن التغيرات العمرانية لا تسير بشكل منعزل عن التغيرات الثقافية.

3-1 الإضافة والمساهمة

قد لا يتسم هذا البحث بقدر من الحداثة في طرح المسألة البحثية تلك الدائرة حول إشكالية العلاقة بين الثقافة والعمران في البيئات الحضرية والثقافية ودورهما في تحقيق الفاعلية في تصميم يستوعب احتياجات الأفراد الحالية والتغيرات المستقبلية الطارئة عليهما. حتي أن موضوع تدوين الطرح يعد حديثاً في كيفية تحديد نقاط القياس المشتركة بين كلا المكونين في صورة مصفوفة تقيس مدي التوافق بين كلا المكونين البيئة الثقافية والبيئة العمرانية، أما المساهمة فتكمن في فتح منافذ للبدء في تطبيقها بشكل عملي علي الأقاليم العمرانية المختلفة بمصر مع مراعاة أن مجالها التطبيقي ينحصر في مشاريع التصميم الحضري، وأن نقاط المكونة لعناصر المصفوفة قابلة للتعديل بناء علي طبيعة المنطقة وطبيعة المشروع هل هو إعادة تصميم أم تصميم جديد.

2 مفاهيم- البيئة الثقافية والبيئة العمرانية والفاعلية

لا تعتبر الثقافة أحد المفاهيم المرتبطة بالإنسان فقط ولكنها نتاج لتفاعل الإنسان مع البيئة منذ القدم وحتى الآن. وهذا ما عبر عنه ابن خلدون في مقدمته عن أن الثقافة من صنع الإنسان بما قام به من جهد وفكر ونشاط ليسد به النقص في احتياجاته حتى يعيش معيشة زاخرة بالأدوات والصناعات.^أ

وقد ظهر تعريف عام للثقافة في الخمسينات من خلال (Williams, 1966: 16)ⁱⁱ بشكل عام علي أنها "الميل إلي النمو الطبيعي يليها تدريب للفدرات البشرية ليشمل الطريقة التي يمارس بها الفرد حياته الخاصة *way of life*". بيد أن هذا التعريف تطور ليشمل أنماط الحياة الخاصة بمجموعة معينة من الأفرادⁱⁱⁱiv. وقد فرض مجال هذا البحث مفهوم البيئة الثقافية علي النحو الآتي: "المحيط الذي يمارس فيه الإنسان حياته داخل إطار اجتماعي مكون من مجموعة من الأفراد، وهذه المنظومة تتشكل بناء بعض الأفعال الاجتماعية التي تتمثل في الأنشطة التي يمارسها الأفراد في حياتهم العامة وعلي احتياجات وحقوق المستخدمين للبيئة".

أما البيئة العمرانية فمفهومها ينحصر في البيئة المشيدة أو المبنية والبيئة الطبيعية؛ يقصد بالبيئة الطبيعية كل ما يتعلق بالمنطقة التي يشغلها المجتمع من حيث التكوين والموقع والتضاريس والظروف المناخية والخصائص الجيولوجية وما تحويه الأرض من موارد أولية.^v

يركز البحث علي البيئة المشيدة باعتبارها ذات تأثير جوهري علي البيئة الثقافية والتفاعلات والسلوكيات الفردية والاجتماعية، كما أنها تتأثر بتلك السلوكيات وتلك العلاقات بين البيئة المبنية والجماعات والأفراد. وقد فرض مجال هذا البحث مفهوم البيئة المشيدة بأنها "ذلك المحتوى المشيد الذي كان في الماضي طبيعياً وتدخل الإنسان فيه بجهد ليغير من تشكيله الطبيعي بالحذف أو الإضافة، مستعيناً في ذلك بعلوم معرفية وأدوات ومواد وفنون تقنية، ليكون هذا المحتوى في نهاية الأمر حيزاً مكانياً له سمات وملامح خاصة به"^{vi}.

أما مفهوم الفاعلية *Robustness* للبيئة الحضرية فيتعلق بإتاحة أكثر من استخدام ونشاط، فقد ذكر *Seamon*^{vii} أن التصميم الفعال يعني صنع هيكل تنظيمي مكاني من الفراغ والمباني المحيطة به يعتمد علي تنوع الاستعمالات والأنشطة المتاحة حالياً مع استيعابها للتغيرات المستقبلية وذلك علي المدى القريب أو البعيد. وهذا يتفق مع ما ذكره *Bentley*^{viii} بخصوص تعريف معيار الفاعلية للبيئة العمرانية سواء الداخلية أو الخارجية علي أنها "القدرة علي التنوع في استغلال الفراغ بأكثر من نشاط مع قدرته علي استيعاب التغيرات والتحولات التي تحدث بمرور الوقت في تلك الأنشطة". وهذا يدفع إلي التعرف علي منطقية تكوين مفهوم البيئة الثقافية العمرانية الفعالة.

2-1-1 منطقيّة تكوين مفهوم البيئة الثقافيّة العمرانيّة الفعّالة

إن الارتباط المتزايد بين الأنظمة الثقافيّة والعمرانيّة علي مستوي العالم إلي جانب التعقيد المتنامي للمجتمعات وتأثيرها علي البيئة الماديّة ومحيطها يؤكد علي حتمية القيام بجهود نحو إعادة تناول المفاهيم والمحاولات الماديّة البحتة بمفاهيم أكثر تكامليّة وأوثق إرتباطاً بالأبعاد الإنسانيّة، والتي يشكل فيها البعد الثقافي كأسلوب ممارسة الأفراد لحياتهم العامّة هو حجر الأساس والمدخل لتحقيق الأبعاد الأخرى. وهذه الموجة من التحوّلات المنهجية للبحث العلمي في عالمنا المعاصر هي التي طرحت علينا ثنائيات جديد لم تكن مستصاغة من قبل كما طرحتها قمة الأرض سنة 1992، والذي دعي إلي تغيير ما في الإتجاه أي إتجاهات البحث السابقة، وبالتالي فإن الجهود البحثية التي ظهرت متواليّة لهذا المنهج التالي لهذا المؤتمر أظهرت لنا ثنائيات جديدة تدرس المناخ والسياسة وأخرى تدرس التنمية والمجتمع والثقافة والعمران^{ix}.

وتحقيق الفاعليّة للبيئة العمرانيّة داخل أي مجتمع تعتبر حالة مركبة تنشأ عن نسبة تحقيق أفراد المجتمع للقدرة علي ممارسة الأنشطة المختلفة والمتنوعة في حياتهم العامّة والنابعة عن طبيعة الأفراد وطرق ممارستهم للحياة مع الأخذ في الاعتبار التغيير المستمر بمرور الوقت.

وبالتالي يمكن طرح المفهوم المقترح للبيئة الفاعلة ذات البعدين الثقافي والعمراني بأنها:

شيء ملموس نسبياً ومتجانس أو غير متجانس يمكن قياسه من خلال الطريقة التي يمارس بها الإنسان حياته داخل إطار اجتماعي مكون من مجموعة من الأفراد، وهذه الممارسة تتم داخل وعاء يتمثل في البيئة العمرانيّة المحيطة بالفرد، وهذه المنظومة معرضة دائماً للتغيير سواء علي فترات زمنية متقاربة أو متباعدة تتوقف علي مدي تقبل الأفراد للتغيير، وديناميكية هذه المنظومة تظهر في نوعية الأنشطة وتنوعها التي يمارسها الفرد داخل المجموعة بناء علي حقوقه واحتياجاته لنصل في النهاية إلي كيان فعال للبيئة الثقافيّة العمرانيّة حالياً ومستقبلياً.

ويمكن رؤية منطقيّة هذا المفهوم من مستويين أولهما المستوي غير المادي بما يحمله من مفردات متعلقة بأسلوب الحياة والثاني هو المستوي المادي بما يحمله من عناصر ملموسة للبيئة العمرانيّة كما حددها Cullen^x في المباني والفراغات والشوارع بالإضافة إلي ضرورة إضافة الأفراد باعتبارهم مكون مادي للموس للبيئة العمرانيّة.

2-2-1-2 المستوي غير المادي

البيئة الثقافيّة العمرانيّة تتغير وتتحوّل فيها القيم النسبية بما يتلائم مع ظروف الحدث والمكان والزمان، وهذا الطرح الذي تقدمه البيئة الخارجيّة لمكونات بنية المجتمع الثقافيّة، والذي يسهم بفاعليّة كبيرة في صياغة الطابع المميز ماديّاً وغير ماديّاً للبيئة الخارجيّة، والتي تتغير وتتبدل عناصرها تلقائياً حسب طبيعة المجتمع وتوجهاته وخصائصه الرمزيّة والمكانيّة، والدلائل الفعليّة علي ذلك الفراغات العامّة في الحضارة الإسلاميّة مثل فراغ الساحة، من خلال تقديمها لمكونات البناء الثقافي للمجتمع في قالب مميز ازدادت فيه فاعليّة المكون الديني علي باقي المكونات، فكانت ملامحه الأساسيّة مرتبطة بالمسجد باعتباره مصدر العقيدة الدينيّة مع الاندماج المتوافق بباقي أنشطة المجتمع الأخرى دون حدوث أي خلل أو اضطراب في فراغ الساحة.

2-2-2-2 المستوي المادي

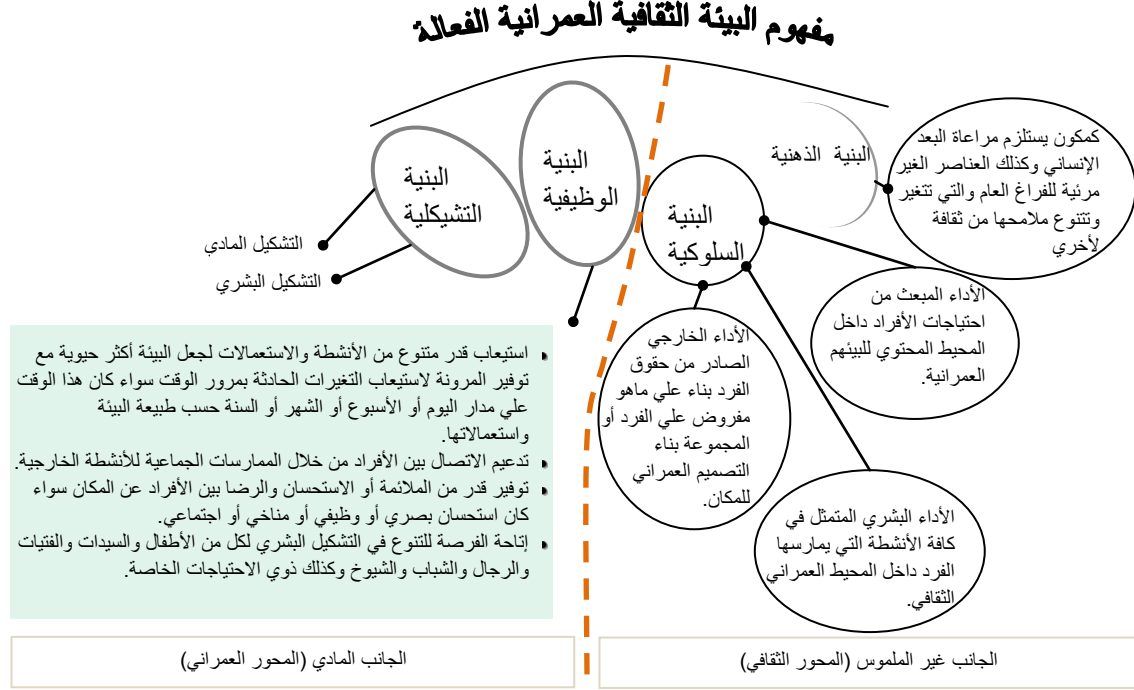
عند بداية تكوين البيئة العمرانيّة الخارجيّة تتضافر الجهود لإحداث عمليّة تكيف سواء ماديّاً أو غير ماديّاً مع البيئة العمرانيّة المحيطة بما تشمله من مباني وفراغات ومسارات قائمة تعمل بالفعل علي خدمة المستخدمين، ثم في مراحل عمل البيئة العمرانيّة يحدث مستويات من التطبع بينها وبين محتواها ونشاطاتها التي تنعكس علي سلوكيات الأداء الإنساني والمكاني للمحيط الثقافي العمراني؛ فأَي تغيير في أحد المكونات الماديّة ينعكس علي باقي العناصر.

وبناء علي ذلك فإن ملامح التأثير والتأثر وتغيرها هي نفسها تحدث أو تشكل جانباً من جوانب التوازن بين البيئة الثقافيّة والبيئة العمرانيّة بإعتبار أن الجوانب الثقافيّة مكون أساسي ومادي للبيئة العمرانيّة للمجتمع المصري بصفة عامّة، وهو مادي يكون الأفراد عنصر مادي لهذه البيئة، وهنا يمكن التأكيد علي أن الخيط الرفيع الذي يجمع بين كل من السببيّة الأولي (الغير ماديّة) والسببيّة الثانيّة (الماديّة) كمنظورين متكاملين يفسران منطقة تكون مفهوم البيئة الثقافيّة العمرانيّة هو الصبغة الجماعيّة والاستمراريّة لمكوني البيئة الثقافيّة والعمرانيّة أي جماعيّة الأداء الإنساني وسلوكه داخل المجتمع وجماعيّة الأداء المكاني المتمثل في تنوع المفردات العمرانيّة التي تدعم متانة وفاعليّة وكفاءة السببيّة الثانيّة (البيئة العمرانيّة).

وجماعية مكون البيئة الثقافية تنشأ من أنها نتاج جماعة أو جماعات متجانسة وليست أفراد، وتنشأ وتتواجد وتتشكل ملامحها وتتحوّل بتعدد مفردات المكان وخصائصه الطبيعية وغير الطبيعية التي تسمح بتميز المحتوى المادي العام الذي تتشكل فيه البيئة الثقافية. كما أن الصبغة الجماعية في الشكل والمحتوي لكل من مكوني البيئة العمرانية والبيئة الثقافية تنطرق إلي بعد الاستمرارية والتغير بمرور الوقت.

3- البنية الفلسفية لمفهوم البيئة الثقافية العمرانية الفعالة

بناء علي ما توصل إليه البحث يمكن استنتاج مكونات هذه البنية كما هو موضح بالشكل (1):



3-1 البنية الذهنية

تتعلق البنية الذهنية للبيئة الحضرية الثقافية بعملية إدراك البيئة المحيطة يليها عملية الوعي بطبيعة الموجودات في البيئة المحيطة، ومن الضروري الإشارة هنا إلي أن عملية تحويل الأشياء المادية المرئية من مجرد صور إلي مدركات يستطيع الإنسان أن يفهمها كعمان تماثل عملية تكوين الخبرات الإنسانية خلال التراكم المعرفي للمعلومات المفردة والبسيطة إلي كل مركب ومعقد وفقاً لزمن التجربة والخبرة ومقدار التفاعل مع البيئة المحيطة، وهذا يتطلب أيضاً الأخذ في الاعتبار العناصر الغير مرئية للفراغ العام والتي تنشأ عن تراكم الخبرات وتتغير وتتوحد ملامحها من ثقافة لأخرى، ولكن يمكن استعراض أنواعها بصفة عامة والتي غالباً ما لا تظهر مجتمعة في محتوى واحد مثل:

- ملامح سلوكيات الأفراد وتصرفهم داخل المكان والتفاعلاتهم ولامح الوجود البشري في المكان.
- ملامح الألفة والترابط الاجتماعي.
- قيم الانتماء للمكان والتي تظهر في سلوكيات الناس وحبهم التردد علي مكان عن الأخر.

وبالتالي من الممكن تصور العوامل الحاكمة لقدرة الإنسان علي إدراك الفراغ وتكوين بنية ذهنية تتعلق بالمسافة (أو منطلق القرب والبعد) وطريقة الرؤية (زاوايا النظر) والحركة (من خلال الزمن كبعد رابع)^{xi}:

- المسافة بين الفرد المشاهد وبين مكونات البيئة الحضرية سواء الثابتة أو المتحركة، فكلما ازداد الفراغ اتساعاً تصبح إمكانات التعرف علي التفاصيل داخل الفراغ ممكنة وبالتالي فرص الاتصال بين الأفراد أكبر.
- الرؤية *seeing*: فغالباً ما تكون إنعكاساً مباشراً لطبيعة الإنسان وقدرته العضوية علي استعمال العين، ومؤشراً قوياً للتفاعل الاجتماعي بين الأفراد بعضهم البعض وبين مكونات البيئة العمرانية الخارجية.

الحركة Movement: تعد الحركة داخل البيئة الحضرية الخارجية من العوامل المؤثرة علي اختلاف إمكانات الرؤية في الفراغات وسهولة إدراكه؛ فالمشاهد الذي يتحرك ببطء علي الأقدام يحتاج لفراغ يختلف تكوينه وطبيعته عن الفراغ المخصص للحركة السريعة. ومن هنا يأتي الاختلاف المطلوب لعناصر تشكيل الفراغات المخصصة لأداء وظائف مختلفة، فعلي سبيل المثال تختلف نوعيات الأشجار المستعملة حول طريق مرور ألي سريع أو التي لها إتصال مباشر بمسارات الحركة علي الأقدام أو المظلة علي نهر والحركة فيه بطيئة وسريعة معاً^{xiii}.

3-2 البنية السلوكية

إن البنية السلوكية للبيئة الثقافية العمرانية يمكن رؤيتها من خلال ثلاثة جوانب ذات ارتباط وثيق ومباشر بمنظومة البيئة المحيطة Environment Contextual وهي:

- الأداء البشري المتمثل في كافة الأنشطة التي يمارسها الفرد داخل المحيط العمراني الثقافي.
- الأداء المبعث من احتياجات الأفراد داخل المحيط المحتوي للبيئة العمرانية.
- الأداء الخارجي الصادر عن حقوق الفرد بناء علي ماهو مفروض علي الفرد أو المجموعة بناء التصميم العمراني للمكان^{xiii}.

إن القيمة والمساهمة المنتظرة من البيئة الثقافية العمرانية لن تتحقق إلا من خلال الموائمة والتوافق النسبي بين أنواع الأداء للجوانب الثلاثة السابقة مجتمعة معاً؛ إذ لا يمكن أن يتحقق صحة المفهوم بطمس أو تجاهل أداء أي مستوي من هذه الجوانب علي حساب الأخرى، فعلي سبيل المثال لا يصح أن تغلب ملامح أداء الطبيعة أو البيئة المشيدة ويختفي الأداء الإنساني وإلا أنتجت بيئة صامتة ساكنة لا تعمل؛ لذلك يمكن التأكيد علي أهمية الأداء والسلوك إذ أنه المحرك والمسيطر علي أشكال ومضمون الأداء للجوانب الأخرى كبدئية من بديهيات نمط الحياة.

وبذلك يمكن التأكيد علي أن البنية السلوكية للبيئة الثقافية العمرانية هي مؤشر للتفاعل الديناميكي داخل المحتوي العام للبيئة، فطالما استمرت التفاعلات والحوارات المادية والرمزية بين عناصر البيئة وبين الإنسان سواء بتصرفاته أو من خلال سلوكه الشخصي أو من خلال أدواته وأعماله المصنوعة فإن هذا التفاعل يمكن الاستدلال عليه وبالتالي تطويره من خلال السلوك الناشئ داخل محتوي البيئة العمرانية الثقافية.

3-3 البنية الوظيفية

تختلف مكونات المدينة تبعاً لوظيفة كل مكون (مناطق إسكان، خدمات، مناطق خضراء، مناطق صناعية، شبكة طرق،... وغيرها)^{xiv}. ولذلك تتمثل البنية الوظيفية في الدور الذي تلعبه البيئة المحيطة داخل المجتمع سواءً في:

- استيعاب قدر متنوع من الأنشطة والاستعمالات لجعل البيئة أكثر حيوية مع توفير المرونة لاستيعاب التغيرات الحادثة بمرور الوقت سواء كان هذا الوقت علي مدار اليوم أو الأسبوع أو الشهر أو السنة حسب طبيعة البيئة واستعمالاتها.
- تدعيم الإتصال بين الأفراد من خلال الممارسات الجماعية للأنشطة الخارجية.
- توفير قدر من الملائمة أو الاستحسان والرضا بين الأفراد عن المكان سواء كان استحسان بصري أو وظيفي أو مناخي أو اجتماعي.
- إتاحة الفرصة للتنوع في التشكيل البشري لكل من الأطفال والسيدات والفتيات والرجال والشباب والشيوخ وكذلك ذوي الاحتياجات الخاصة.

3-4 البنية المادية التشكيلية

يمكن تناول هذا المصطلح من جانبيين؛ هما التشكيل المادي والتشكيل البشري، وهذا تناول غير التقليدي للعناصر القادرة علي إنتاج التشكيل الخاص بالبيئة المحيطة سببها هو الطبيعة الديناميكية التي تتسم بها البيئة العمرانية، وبالتالي فإن الاعتماد فقط علي عناصر التشكيل ذات الطبيعة الاستاتيكية أي التشكيل المادي الثابت لن يكفي لإحداث ملامح التغيير والحيوية المطلوبة للبيئة، ولذلك فمن الضروري إدراج أنماط وأنساق متنوعة من التشكيلات البشرية المختلفة مثل الأطفال والشباب والشيوخ والنساء والبنات وبالتالي أنماط مختلفة من الاستعمالات والأنشطة التي تخدم كل نسق من التشكيلات البشرية. وهذه الأزواجية المتجانسة في الإطار التشكيلي العام للبيئة

الثقافية العمرانية تطرح تحدياً يتعلق بماهية العناصر التشكيلية ذات الطبيعة المادية المكونة للبيئة الحضرية المقترحة.

4 تصميم Checklist لقياس الجانب المادي من الإطار المفهومي للبيئة الثقافية العمرانية

كما سبق أن سالفاً فإن البيئة الثقافية العمرانية تشتمل علي محورين أساسيين هما المحور العمراني والمحور الثقافي شكل (1)؛ وبالتالي لتصميم تشيكليست لقياس الجانب المادي^{xv} لابد من تحديد نقاط قياس الجانب المادي للبيئة الثقافية والبيئة العمرانية كلا علي حدة.

4-1 نقاط قياس الجانب المادي للبيئة الثقافية

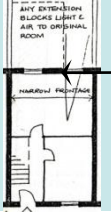
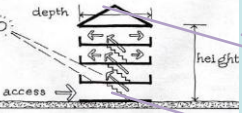

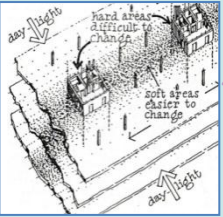
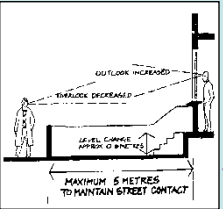
كما سبق ان ذكر أن البيئة الثقافية يمكن تحديدها من خلال الأنشطة التي تمارس في الحياة العامة من خلال احتياجاتهم وحقوقهم؛ والجدول التالي يبين عناصر البنية الثقافية المكونة للمفهوم المقترح.

المكون	المكون المشتق	الاعتبارات
الأنشطة الحضرية	-	تحدد بناء علي المكان وطبيعة المستخدمين.
	الاحتياجات الاجتماعية	<ul style="list-style-type: none"> الحوار الجماعي سواء بعد ممارسة الشعائر الدينية مثل صلاة الجمعة أو بعد الممارسات الرياضية أو أثناء تناول الطعام في الفراغات العامة. اللعب الجماعي لتلبية احتياج فطري للعب والرغبة في التفاعل بين الأفراد .
	الاحتياجات النفسية	<ul style="list-style-type: none"> الحاجة للشعور بالاتساع ورحابة المكان. الاسترخاء الذهني. الإحساس بالأمان. الحاجة إلي الصداقة.
الاحتياجات	الاحتياجات الفسيولوجية	<ul style="list-style-type: none"> الإهتمام بالصحة العامة. إمتاع الحواس وتنميتها.
	الاحتياجات الاقتصادية	تمثل الأسواق التجارية كأداة لتلبية هذا الاحتياج. مع مراعاة ضرورة اختيار المكان المخصص لإقامة هذا النشاط باعتباره أهم من عملية التصميم، علي أن تكون نابعة من رغبات المستخدمين أنفسهم وتمشياً مع روح المكان وتألفه مع طبيعة التكوين الثقافي والاجتماعي للمجتمع.
	الاحتياجات الثقافية	<ul style="list-style-type: none"> ممارسة الشعائر الدينية. ممارسة فنون الأداء الموسيقي والأنشيد. ممارسة الحياة الاحتفالية. مشاهدة العروض المسرحية والسينمائية.
	الديمقراطية في الصياغة الأولية للفراغ العام	إشراك فئات المجتمع في المراحل النمو والتنمية المختلفة التي يمر بها المجتمع بداية من رأي أفراد المجتمع في موقع الفراغ الاجتماعي الذي هو مرتبط بنظام معيشتهم وتحركاتهم.
	العدالة داخل الفراغ العام	ضرورة توفير قدر من العدالة والمساواة بين الأفراد في الملكيات العامة داخل الفراغات العامة لتجنب التأثير السلبي علي علاقات الأفراد بالمكان والأفراد بعضهم البعض.
	حرية التصرف	لابد أن تحقق البيئة الخارجية لكافة الأفراد قدر من حرية التفاعل مع البيئة المحيطة، وبالتالي فإن الفرد يأمل أن يجلس ويأكل ويتأمل ويقرأ ويلعب بدون قيود أو تحديد للشكل والوقت والطريقة التي يمارس بها هذه الأنشطة.
حقوق الأفراد	حق الفرد في مكان للجلوس في الفراغ العام	توفير أماكن للجلوس في الفراغات العامة مع مراعاة كيفية ترتيب وتنسيق هذه المقاعد بشكل يشجع علي التفاعل الاجتماعي بين الأفراد في الفراغات الخارجية.
	حرية الجلوس علي المسطحات الخضراء	لابد من ادراك ميل الأفراد إلي الاستلقاء علي المسطحات الخضراء كوسيلة للتخلص من ضغوط الحياة.
	حق الفرد في الاختلاء بنفسه	<ul style="list-style-type: none"> يميل الإنسان لخلق نوع من التوازنات السلوكية في علاقاته مع ذاته ومع الآخرين. علي مستوي الفراغات الخارجية المفتوحة يكون الفرد أكثر حرية وإنطلاقه خلال عناصر البيئة المحيطة. إحتواء الفراغ العام علي المسطحات الطبيعية لتساعد علي الإنطلاق بالفكر للخيال.
	حرية الفرد في الممارسات السياسية	ضرورة توفير الفراغات الخارجية التي تستوعب الممارسات السياسية كنوع من إفراج الكبت الداخلي ومشاركة الرأي والحوار بين الأفراد بغرض التفاعل الإيجابي بينهم.
	إضفاء الشخصية الذاتية للأفراد	يساعد في تدعيم وزيادة العلاقة بين المكان والأفراد وتحدد بناء علي محورين ^{xvi} : <ul style="list-style-type: none"> وظيفي يختص بتحسين ما هو متاح ليستوعب احتياجاتهم للممارسة نمط الحياة الخاص بهم. بصري يتعلق برغبة الأفراد بتحسين صورة المكان.

جدول (1): تصميم Checklist لقياس مكونات البيئة الثقافية المقترحة.

4-2 نقاط قياس مكونات البيئة العمرانية نحو تصميم يستوعب التغيرات المستقبلية

تعددت الاتجاهات التي تعاملت مع البيئة العمرانية باعتبارها مكوناً مادياً للبيئة التي يتعايش فيها الإنسان بحيث اتفقت جميعها على أن تصبح مكوناتها مشتملة على المباني والفراغات والشوارع والبنية التحتية. وإذا أخذ في الاعتبار البعد الزمني وجب مراعاة بعض الاعتبارات التصميمية التي تتعلق ببعض العناصر المعرضة للتغير نحو تحقيق الفاعلية للبيئة العمرانية مثل المساحة المخصصة للبناء وواجهات المباني المقابلة للفراغات العامة وغيرها من العوامل التي يتم تفصيلها في الجدول (2).

العنصر	الاعتبارات التصميمية	المتغيرات	العنصر	
		<ul style="list-style-type: none"> • توفير الإمكانية للإمتداد الرأسي بزيادة عدد الطوابق أو الإمتداد الأفقي من خلال الخروج بالحوائط الخارجية للمبنى أو إضافة أجزاء إلى المبنى. • نظام تصميم الوحدات السكنية الطولي Terrace Houses يصعب معه الإمتداد الأفقي إلا من الأمام أو الخلف مع مراعاة ألا يقل العرض الوحدة عن 6.5م مع توفير الإضاءة للفراغات الأصلية بعد الإضافة. • المنازل منفردة الإتصال يسهل معها الإمتدادات الأفقية من جميع الاتجاهات فهي تحقق درجة عالية من الفاعلية. 	المساحة المخصصة للبناء	
		<ul style="list-style-type: none"> • كلما ارتفع المبنى عن أربعة طوابق كلما قلت فاعليته وامكانية استغلال الأدوار العليا بالإضافة إلى صعوبة الوصول إليها. • عمق المبنى من النافذة إلى النافذة المقابلة: فكلما كان الفراغ الداخلي مهيباً للإضاءة والتهوية الطبيعية كلما أصبح أكثر فاعلية، وهذا يتحقق من خلال تقليل عمق المبنى في المسقط الأفقي ليصل ما بين 9-13م. • إمكانية الوصول إلى المبنى وذلك باختيار موقع يتيح إمكانية الوصول الخارجي وخاصة للأدوار الأرضية، مع زيادة طول الواجهة المقابلة للفراغ الخارجي قدر الإمكان؛ وذلك عن طريق زيادة المداخل على المبنى سواء على المدي القريب أو البعيد. 	تصميم المباني بشكل فعال	
		<ul style="list-style-type: none"> • زيادة عدد المداخل على الفراغ بحيث تصبح حركة الحياة العامة مرئية بشكل مباشر من الفراغ العام. • تحنيد وتدعيم الأنشطة داخل المبنى على الواجهة التي يمكن أن تستفيد أو تفيد من وجودها على الفراغات العامة. 	واجهات المباني المقابلة للفراغات العامة	
		<ul style="list-style-type: none"> • ضرورة وضع الأجزاء الصلبة في أماكن لا تتوقع مرونة الفراغات الأخرى. • أن يتم تجميع الفراغات الصلبة معاً في المباني ذات الواجهات أقل من 15م بشكل يتيح استخدام باقي الفراغات. • استخدام الغرف السكنية بمساحة 14م² بحيث تعطي مرونة في تقسيم الفراغ الداخلي أو تعديل استخدامه. • أن تكون نسبة أبعاد الفراغات الداخلية تتراوح ما بين 1:1 و 1:2. • أن الفراغات الداخلية مستطيلة الشكل والفتحات على الضلع الأكبر لديها المرونة في سهولة تعديلها وتقسيمها إلى فراغين. • أن يكون طريقة تصميم وفرش الفراغات الداخلية تمتاز بالمرونة وسهولة التغيير. 	تحقيق الفاعلية داخل المبنى	نحو تصميم حضري يستوعب التغيرات المستقبلية
		<ul style="list-style-type: none"> • يصمم الحد الفاصل بين الفراغ الخارجي والفراغ الداخلي بشكل يتيح مرونة في الفراغات الداخلية بالإضافة إلى تنوع في الأنشطة والاستعمالات الخارجية. • تصمم الحدود بحيث تدعم الخصوبة للأنشطة داخل المباني فلا يضطر الأفراد داخل المبنى إلى عزل أنفسهم بشكل كلي عن الفراغات العامة. • تحقيق الإتصال مع الاحتفاظ بالخصوصية عن طريق تغيير المستوي الرأسي أو البروزات والامتدادات الأفقية أو الأتئين معاً. • مشاهدة الناس لبعضهم البعض أكثر الأنشطة انتشاراً في الفراغات العامة على حدود الفراغ. • تدعيم الاتصال والتفاعل بين الأفراد من خلال رؤية الأفراد لبعضهم البعض كلما كانت أبعاد حدود الفراغ أكثر إحتواءً من خلال الارتدادات الداخلية بالنسبة إلى مساحة الفراغ كلما ازداد هذا التفاعل بين الأفراد وازاد إحساسهم بكون المكان الخارجي ملجأ لممارسة الأنشطة الخارجية. • على ألا يزيد عمق الارتدادات بالفراغ الخارجي بشكل يعوق معه الرؤية. • مع توفير أماكن للجلوس، وإذا تعذر توفير أماكن للجلوس والاسترخاء على حدود الفراغ يراعى عند التصميم استغلال أجزاء من واجهات المباني لنفس الوظيفة. • جعل أماكن الجلوس على الحدود مرتفعة فهذا يعطي إمكانية أكبر لفتح مجالات الرؤية، وامكانية اقتصادية لاستغلال الدور الأرضي لأغراض تجارية وترفيهية. • أن تكون مناطق الجلوس على الحدود محمية من العوامل الجوية. 	تصميم حدود الفراغ	

جدول (2): تصميم Checklist لقياس مكونات البيئة العمرانية (يستكمل...).

العنصر	المتغيرات	الاعتبارات التصميمية
نحو تصميم حضري يستوعب التغيرات المستقبلية	مسارات الحركة الآلية	<ul style="list-style-type: none"> التكامل بين الحركة الآلية وحركة المشاة وليس الفصل المكاني بين الحركتين. توفير مكان مخصص لحركة المشاة ومنطقة فاصلة بين الحركة الآلية وحركة المشاة يتوقف عرضه على كثافة الحركة وعدد المستخدمين المترددين على الفراغ. مع توفير أماكن للمارسة الأشطة الحميمية بين المستخدمين مثل مشاهدة نوافذ المحلات والسير وأماكن للجلوس ومظلات انتظار وسائل المواصلات العامة. ترك مساحة للإمتدادات أو التغيرات المستقبلية. المنطقة الفاصلة بين الحركة الآلية وحركة المشاة قد يستخدم فيها السيارات المنتظرة على جانبي الطريق كنقطة فاصلة بين حركة المشاة والحركة الآلية، أو يتم عمل حارة موازية لفراغ مسار المشاة تستخدم كعازل أو فاصل بين الحركة الآلية والمشاة على ألا يزيد عرض فراغ الشارع الكلي فيقل معه الإحساس بالإحتواء. توفير أماكن العبور الآمن لهذه المسارات. تجنب استخدام الكباري لعبور المشاة. توفير الرؤية الواضحة سواء للمشاة أو للسيارات مع مراعاة أماكن عبور ذوي الإحتياجات الخاصة.
	الفراغ المشترك	<ul style="list-style-type: none"> أن يتراوح عرض الشارع 48 و55م. أن لا يزيد معدل تدفق السيارات عن 250 مركبة/ساعة. وتكون نقطة النهاية Destination Points داخل حدود المنطقة. ولا يزيد طول الشارع بحد أقصى عن 500م مع تغيير الإتجاه كل 50-60م. اختيار نمط للرصيف يساعد في تقليل سرعة المركبات.
	تصميم مسارات المشاة	<ul style="list-style-type: none"> الحد الأدنى لعرض مسار المشاة هو 3م. إرتفاع حدود الفراغ. فرش الفراغ مثل المقاعد وأشكالها وطرق توزيعها داخل الفراغ. نمو النباتات والأشجار بمرور الوقت وتحولها إلى عائق يعوق الرؤية الواضحة. وجود بدائل للحركة الآلية.

جدول (2): تصميم Checklist لقياس مكونات البيئة العمرانية (كامل).

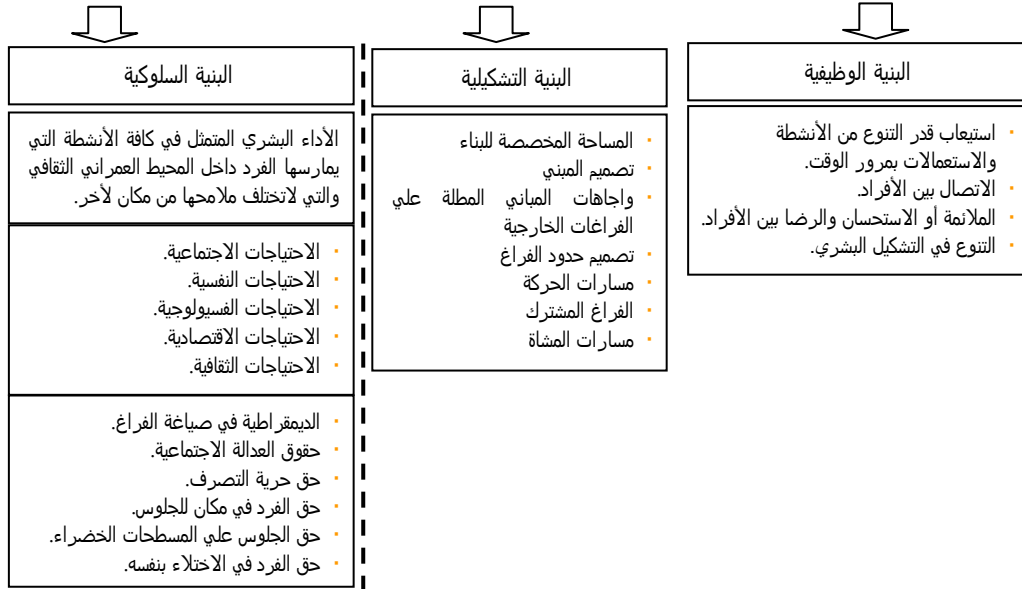
4-3 تصميم مصفوفة لقياس مدي التوافق بين مكوني البيئة الثقافية العمرانية

يحاول البحث من خلال استعراض مكونات هذه البنية أو الرؤية أن يتحقق من إمكانية استخدام هذه البنية لتكوين مصفوفة لقياس الجانب المادي الذي يمكن قياسه للبيئة الثقافية العمرانية؛ وإدراجهما داخل المفهوم المقترح للبيئة الثقافية العمرانية الفعالة.

ومن الشكل (1) يمكن تصنيف الإطار المفهومي إلي محورين أساسيين أحدهما ملموس يمكن قياسه يتعلق بالبنية الوظيفية والتشكيلية والسلوكية والأخر غير ملموس ينحصر داخل الإطار العام للبنية الذهنية سواء للمصمم العمراني أو للفرد كمستخدم للمكان كما بالشكل (2).

وبالتالي يكون الغرض الأساسي من التحليل السابق هو التعرف علي مدي التوافق بين المكونات القياسية للبيئة الثقافية العمرانية، ومحولة بلورتها في صورة مصفوفة ذات بعدين أساسيين أحدهما رأسي يختص بالجوانب العمرانية والأخر أفقي يتعلق بالجوانب الثقافية للبيئة المحيطة بالفرد؛ لتكون هذه المصفوفة هي نقطة البداية لاستخدامها في مجالات التحليل الميداني. علي أن يتم قياس هذا التوافق من خلال التأثير السلبي أو التأثير الإيجابي لمكوني البيئة الثقافية العمرانية علي بعضهما البعض، علي أن تكون مرة رؤية الباحثون هي الباعث المحرك لكونه سلبياً أم إيجابياً والمرة الأخرى رؤية المستخدمين هي المؤثر سواء سلبياً أو إيجابياً جدول (3).

نقاط قياس مفهوم البيئة الثقافية العمرانية نحو تصميم فعال يستوعب التغيرات المستقبلية



شكل رقم (٢): المكونات القياسية للبيئة الثقافية العمرانية.

البنية التشكيلية						البنية الوظيفية				تأثيرات اجتماعية	تأثيرات نفسية	
تصميم مسارات المشاة	الفراغ المشترك	مسارات الحركة الآلية	تصميم حدود الفراغ	تحقيق التفاعلية داخل المبني	واجهات المباني المقابلة للفراغات العامة	تصميم المباني بشكل فعال	المساحة المخصصة للبناء	تنوع التشكيل البشري	الملائمة والاستحسان			الاتصال بين الأفراد
												الأداء البشري المتمثل في كافة الأنشطة التي يمارسها الفرد داخل المحيط العمراني الثقافي والتي لا تختلف ملامحها من مكان لآخر.
												الاحتياجات الاجتماعية
												الاحتياجات النفسية
												الاحتياجات الفسيولوجية
												الاحتياجات الاقتصادية
												الديمقراطية في الصياغة الأولية للفراغ العام
												العدالة داخل الفراغ العام
												حرية التصرف
												حق الفرد في مكان للجلوس في الفراغ العام
												حرية الجلوس علي المسطحات الخضراء
												حق الفرد في الاختلاء بنفسه
												حرية الفرد في الممارسات السياسية
												إضفاء الشخصية الذاتية للأفراد



غير محدد



تأثير سلبي



تأثير ايجابي

جدول رقم (٣): مصفوفة لقياس مدى التوافق بين مكوني البيئة الثقافية العمرانية علي أن يتم تحديد نقاط التأثير السلبي أو الإيجابي بناءً علي المنطقة المخصصة لدراسة.

5- خلاصة وتوصية

ناقشت هذه الورقة الدور الجديد للبيئة العمرانية في كونها الوعاء الذي يمارس فيه الأفراد الأنشطة المختلفة والمتنوعة بناء علي الاحتياجات والحقوق المفروضة، بالإضافة إلي مرونتها في استيعاب التغيرات المستقبلية، وهذا يتحقق من خلال تصميم البيئة العمرانية بناء علي المستخدمين واحتياجاتهم الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية وغيرها من الاحتياجات المستجدة، من خلال تصميم واختيار المساحة المخصصة للبناء وتوفير قدر من المرونة في الفراغات الخارجية يتيح سهولة أو تعديل الاستخدام بمرور الوقت، وكذلك تصميم حدود الفراغ الممثلة في واجهات المباني وعناصر الفرش وكافة المفردات المعمارية ذات البعد الرأسي، وكذلك تصميم مسارات الحركة المخصصة للحركة الألية وحركة المشاة، كل هذا داخل الإطار الوظيفي للمكان الذي يستوعب تنوع في التشكيل البشري من خلال تنوع الاستعمالات والأنشطة وتحقيق قدر من الإتصال والتفاعل بين الأفراد.

وبُنيت خلاصة الدراسة ونتائجها علي أنه موضوع يحتاج إلي أكثر من مجرد دراسة نظرية، كما يحتاج إلي دراسة تطبيقية يشارك فيها متخصصين من مجالات العمارة والتصميم الحضري وعلم النفس والاجتماع؛ لأن التعبير المادي عن البيئة المشيدة يتطلب التكامل مع المحتوى الثقافي الذي يتعامل مع طبيعة المستخدم وعاطفته وقيمه وثقافته، فهو يحتاج إلي أكثر من ذلك فهو قد يحتاج إلي فهم طبيعة النفس البشرية.

ومن ثم توصي هذه الورقة بإعداد دراسات متخصصة عن الأبعاد الثقافية كبعد مؤثر في التصميم الحضري، وبحث مدي أهمية ذلك البعد في التأثير علي صورة المدينة.

6. المراجع العربية

- ⁱ عبد الحميد سعد، "دراسات في علم الاجتماع الثقافي" نهضة الشرق- القاهرة -1980 ص 79.
- ^v أبو سعده، هشام، "عمارة وعمران الألفية الثالثة من نداعات الخيال"، بحث غير منشور.
- ^{xi} أبو سعده، هشام، "الزمن- البعد الرابع في تصميم الفراغات العمرانية" مقالة نظامية مجلة الإمارات الهندسية، 2003.
- ^{xii} أبو سعده، هشام "نسق القيم الإنسانية في الفراغات العمرانية للمدينة العربية الإسلامية" مقالة نظامية مجلة الملك عبد العزيز: العلوم الهندسية، 2001.
- ^{xiv} شفق الوكيل، "التخطيط العمراني- مبادئ -أسس- تطبيقات"، الجزء الأول 2006.

7. المراجع الأجنبية

- ii Williams, R. Culture and Society", 1780–1950. Harmonds worth: Penguin. World Commission on Culture and Development (WCC) Our Creative Diversity. Paris: UNESCO. 1966.
- iii SETHA M. Low "Urban Public Spaces as Representations of Culture" Environment and Behavior, Vol. 29, No. 1, 3-33, 1997.
- iv Ole B. Jensen, "Culture Stories: Understanding Cultural urban Branding", Sage journal, Planning Theory, Nov 2007; vol. 6: pp. 211-236..
- vi Michael Storper and Michael Manville, "Behavior, Preferences and Cities: Urban Theory and Urban Resurgence", Routledge, Urban Studies, Vol. 43, No. 8, 1247–1274, July 2006.
- vii <http://www.arch.ksu.edu/seamon/ResponsiveEnvnts.htm>.
- viii Bentley, Alocck, Murrain, McGltnn, and Smith. "Responsive Environments: A Manual for Designers", Oxford University, U.K. 1985, P. 57.
- ix A, El-shatter, "The Conception of Sustainable Townscape through Designing Urban Corridors" Unpublished thesis, Ain Shams University, 2003.
- x Gordon Cullen, "The Concise: Townscape", The Architecture Press, London, 1970.
- xv L. Hemphill, J. Berry and S. McGreal, "An Indicator-based Approach to Measuring Sustainable Urban Regeneration Performance Conceptual Foundations and Methodological Framework", Carefax Publishing, Urban Studies, Part 1, Vol. 41, April 2004.
- xvi Bentley, Alcock, Murrain, McGltnn, and Smith. "Responsive Environments: A Manual for Designers", Oxford University, U.K. 1985

